



موقف الدولة المملوكية من طبقة الفقراء في بلاد الشام (923/648هـ-1516/1250م)

أ.محمد حيدر مصطفى الأسطل

جامعة الأقصى- فلسطين

البريد الإلكتروني: mohmad_alastl@hotmail.com

الملخص

في ظل الحكم المملوكي قسم المجتمع الشامي الى عدة طبقات كان أهمها طبقة الحكام وطبقة التجار، وطبقة الحرفيين الصناع، وطبقة الفلاحون وطبقة العامة، ونتيجة تغير الأحوال الإقتصادية بين الإنفراج والازمات كانت حركة الفقر والفقراء في صعود وهبوط، وكذلك كان للسياسة التي تتبع من قبل ولاة الشام اتجاه الأهالي دور كبير في التأثير على المستوى الاقتصادي للأفراد وطبقات المجتمع ككل، ومن أكثر الطبقات التي تأثراً في المجتمع طبقة الفقراء، حيث شهدت بلاد الشام في العهد المملوكي عدة أزمات اقتصادية وكوارث طبيعية وأمراض أدت الى ارتفاع معدل الفقر وحدوث المجاعات، فقد حرصت الدولة المملوكية الى الاهتمام بمتابعة اوضاع الفقراء ومحاولة تخفيف من معاناتهم من خلال إنشاء مؤسسات رعايته خاصة بطبقة الفقراء والتي تمثلت في المساجد والأربطة والزوايا والخوانق والمدارس التي كان لها الأثر الكبير في تخفيف من معاناة الفقراء بلاد الشام في تلك الفترة.

لذا تنصب هذه الدراسة الى معرفة ودراسة موقف وأوضاع الفقراء في العهد المملوكي على أساس أنها إحدى القوى الاجتماعية التي تعرضت للتجاهل من قبل المؤرخين والمعاصرين وكذلك الإهتمام بالحكام والسلاطين، وأهملوا تلك الشريحة التي تشكل جزءاً حيوياً من المجتمع بلاد الشام خلال هذين القرنين.

الكلمات المفتاحية: الفقراء، دولة المماليك، بلاد الشام.



The Position of the Mamluk State from the Poor Class in the Levant (923/648هـ-1516/1250م)

Mohammed Hiadar Mustafa Al-Astal
Al-Aqsa University - Palestine

Email: mohmad_alastl@hotmail.com

ABSTRACT

Under the Mamluk rule, the Levantine society was divided into classes, the highest of which was the rulers class, the merchant class, the craftsmen class, and the general peasant class. The class of society, as the Levant witnessed in the Mamluk era Several economic crises, natural disasters and diseases led to a high rate of poverty and the occurrence of famines. The Mamluk dynasty was keen to follow up on the conditions of the poor and try to alleviate their suffering through the establishment of welfare institutions for the poor, which were represented in mosques, ligaments, corners, gorges and schools, which had a great impact in alleviating the suffering of the poor. The suffering of the poor Sham in that period.

Therefore, this study focuses on knowing and studying the conditions of the poor in the Mamluk era on the basis that it was one of the social forces that were ignored by historians and contemporaries, as well as the interest in rulers and sultans, and they neglected that segment that constitutes a vital part of society in the Levant during these two centuries.

Keywords: the poor, The Mamluks of the Levan.



المقدمة:

عاصرت بلاد الشام متغيرات سياسية، واجتماعية، واقتصادية كبيرة منها قيام دولة المماليك البحرية التي كانت قد نشأت في مصر سنة 648هـ/1250م، بإرسال قواتها إلى بلاد الشام لدفع الغزاة عنها، واستنقاذها من السيطرة المغولية ونجاحها في طرد الغزاة منها في معركة عين جالوت سنة 658هـ/1260م، وبذلك أصبحت بلاد الشام، جزءاً من دولة المماليك البحرية.

في ظل الحكم المملوكي قسم المجتمع الشامي الى عدة طبقات كان أهمها طبقة الحكام وطبقة التجار، وطبقة الحرفيين الصناع، وطبقة الفلاحون وطبقة العامة، ونتيجة تغير الأحوال الاقتصادية بين الانفراج والازمات كانت حركة الفقر والفقراء في صعود وهبوط، وكذلك كان للسياسة التي تتبع من قبل ولاة الشام اتجاه الأهالي دور كبير في التأثير على المستوى الاقتصادي للأفراد وطبقات المجتمع ككل، ومن أكثر الطبقات التي تأثرت في المجتمع طبقة الفقراء، حيث شهدت بلاد الشام في العهد المملوكي عدة أزمات اقتصادية وكوارث طبيعية وأمراض أدت الى ارتفاع معدل الفقر وحدوث المجاعات.

ستتناول الدراسة الحديث عن اوضاع الفقراء في عهد دولة المماليك وتأثيرات العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية على طبقة الفقراء ومعرفة اسهامات الدولة المملوكية في مساعدة طبقة الفقراء من خلال في إنشاء وإدارة مؤسسات الفقراء في بلاد الشام على أساس أنها إحدى القوى الاجتماعية، ومكون أساسي من مكونات المجتمع في تلك الفترة .

أهمية الدراسة:

1. تسليط الضوء على طبقة مجتمعية مهمة وهي طبقة الفقراء، خصوصاً أن الكثير من الدراسات سلطت الضوء على الطبقة الحاكمة والسلاطين من خلال الدراسات والبحوث.
2. معرفة موقف الدولة المملوكية من طبقة الفقراء واسهاماتهم في رعاية وإدارة مؤسسات الفقراء في بلاد الشام.

أهداف الدراسة:

1. توضيح دور دولة المماليك في إدارة مؤسسات الفقراء في بلاد الشام.
2. معرفة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للفقراء في ظل إدارة دولة المماليك في بلاد الشام .
3. إبراز دور المماليك في إنشاء العديد من مؤسسات الفقراء في بلاد الشام.

حدود الدراسة:

1. الحد المكاني : تركز الدراسة على اوضاع الفقراء في بلاد الشام في العهد المملوكي

المبحث الأول : دولة المماليك

أولاً: التعريف بأصل كلمة ممالك:

تعتبر أصل كلمة المماليك (جمع مملوك) هي العبيد العسكريون من العنصرين التركي والشركسي الذين يشترون ويستخدمون لأغراض عديدة في المجتمعات، وكان الأيوبيون قد استخدموهم عندما عدوهم من مقتنيات السلطان الذي أفرد لهم تكنات خاصة وعمد الى تدريبهم على العمال الحربية والفروسية⁽¹⁾، لا شك أن نظام المماليك وان ظهر بشكل واضح على يد سلاطين الأيوبيين في مصر، إلا أن أصله يرجع إلى ما قبل قيام دولة المماليك في مصر والشام بأمد بعيد، إذ استخدمهم الخلفاء العباسيون الأوائل، واعتمدوا عليهم في توطيد دولتهم، واستعانوا بهم في الجيش والإدارة، ولعل الخليفة العباسي المأمون من استعان بهم، ثم استكثر منهم جيشاً أغلبه من الترك الذين جلبهم من سمرقند⁽²⁾.

ثانياً : بداية ظهور المماليك في مصر والشام:

كان البيت الأيوبي من حكامه وأمراءه قد جلبوا أعداد كبيرة للمشاركة في الحروب ضد الصليبيين، وأيضاً للتصدي للخصوم من الأيوبيين، وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب الذي قد اقتنى أعداداً كبيرة من العبيد ليتصدى لخصومه الأيوبيين من جهة ولعدائه من جهة أخرى⁽³⁾، وكان خشية الصالح أيوب من اتفاق الملوك الأيوبيين بزعامه ابن عمه إسماعيل ضده، ومواجهة الخطر الصليبي من جانب آخر⁽⁴⁾، وقد عني سلاطين الأيوبيين ومن بعدهم سلاطين المماليك، بتربية مماليتهم تربية خاصة، وتثقيفهم وتعليمهم فنون الحرب والقتال،



وخصوصاً لذلك ثكنات عسكرية في قلعة الجبل عرفت بالطباق، كان عددها اثني عشرة طبقة واسعة تشبه كل منها حارة كبيرة تشتمل على مساكن عديدة، تنتسح لحوالي ألف مملوك⁽⁵⁾، ولم يكن يسمح لهؤلاء المماليك، وخصوصاً الصغار منهم بمغادرة تلك الطباق⁽⁶⁾ إلا فيما ندر⁽⁷⁾.

وقد لمع نجم المماليك حينما تصدروا للحملة الصليبية بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا عام 1250/هـ 648م، والتي انتهت معركة المنصورة بانتصار المماليك واسر قائد الحملة، وقد تمكن المماليك من تأسيس دولتين عرفتا بالدولة المماليك البحرية⁽⁸⁾، وهم الذين أسكنهم الملك الصالح الأيوبي قلعة في جزيرة الروضة⁽⁹⁾، ونسبوا إلى بحر النيل أو ما كان يسمى البحر مما أدى إلى علو شأنهم في البلاد، وبعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب، حيث توفي أثناء معركة المنصورة، وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب مريضاً فحمل إلى قلعة المنصورة التي توفي فيها سنة 1249/هـ 648م⁽¹⁰⁾، فتولى ولده توران شاه الحكم بعد أبيه؛ لكن لسوء إدارته لحكم البلاد، تم قتله محروفاً داخل برج خشبي، وأجمع المماليك أمرهم على تولي شجرة الدر الحكم في البلاد⁽¹¹⁾.

أدى مقتل السلطان توران شاه بن أيوب إلى ترك فراغ كبير، ولسد هذا الفراغ كان على الأمراء المماليك اختيار سلطان جديد، واتفقوا على أن يقيموا شجر الدر زوجة الملك الصالح أيوب في المملكة، وأن يكون عز الدين أيبك الصالح، المعروف بالتركمان، أتابك العسكر وحلفوا على ذلك، وخطب لشجر الدر على المنابر، وضربت السكة باسمها، وكان نقش السكة المستعصمية الصالحية، ملكة المسلمين، والدة الملك المنصور خليل، وكانت شجر الدر قد أنجبت من الملك الصالح ولداً ومات صغيراً، وكان اسمه خليل، فسميت والدة خليل، وكانت صورة علامتها على المناشير والتواقيع، والدة خليل⁽¹²⁾.

ثالثاً: تولية المملوكي عز الدين أيبك الحكم

تولى الأمير المعز أيبك السلطنة عام 1250/هـ 648م ولقب بالملك المعز، مع اعتراف الخليفة العباسي بالسيادة على مصر، كانت ولاية أيبك في ظل أزمات عديدة واجهت البلاد لعل أخطرها تهديد الأيوبيين لمصر الذين نصبوا طفلاً صغيراً يدعى موسى سلطاناً وشريكاً لأيبك في الحكم، كما أجمع الأيوبيين قواتهم واتجهوا مع الناصر يوسف الأيوبي إلى مصر لمقاتلة المماليك والاستيلاء على السلطنة، وجرت معركة بين الطرفين عام 1251/هـ 648م قرب العباسية، انهزم فيها الأيوبيين وعاد الناصر يوسف ورجاله إلى بلاد الشام يجر ذيول الهزيمة⁽¹³⁾.

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية في بلاد الشام وأثرها على الفقراء

أولاً: تقسيمات المجتمع في العهد المملوكي :

قسم المجتمع الشامي الى عدة طبقات كان أهمها طبقة الحكام وطبقة التجار⁽¹⁴⁾، وطبقة الحرفيين الصناع⁽¹⁵⁾، وطبقة الفلاحون وطبقة العامة، ونتيجة تغير الأحوال الاقتصادية بين الإنفراج والازمات كانت حركة الفقر والفقراء في صعود وهبوط، وكذلك كان للسياسة التي تتبع من قبل ولاة الشام اتجاه الأهالي، فقد كان للضرائب التي تفرض على المزارعين والتجارة دور كبير في التأثير على المستوى الاقتصادي للأفراد⁽¹⁶⁾. وقد شهدت بلاد الشام في العهد المملوكي عدة أزمات اقتصادية وكوارث طبيعية وأمراض أدت الى ارتفاع معدل الفقر والى حدوث المجاعات، تحدث المقريري في كتابه "إغاثة الأمة بكشف الغمة" عن المجاعات التي حدثت في البلاد الإسلامية، ويقرر المقريري إن هذه المجاعات والمحن مرتبطة بأسباب مشخصة، وإنها ليست قدر لا يمكن الفكك منه، إذ يرفض الاستسلام الجبري ويأخذ بمبدأ السببية، مقرر ان ما يحدث من كوارث يمكن ان يتجاوزها الانسان الذي بمقداره تحاشي المجاعات أو الكارثة الطبيعية بالتخطيط والتصرف المستند الى معرفة الاسباب والدوافع، فهي تنتهي بانتهاء هذه الاسباب المرتبطة بسوء السياسة الاقتصادية للمسؤولين في الدولة⁽¹⁷⁾.

أدت موجات من المجاعات نتيجة الجفاف والامراض ففي سنة 660هـ اشتد الغلاء وانتشرت المجاعات في المدن الرئيسية للشام مثل حلب وحماة ودمشق وغزة وهلك الكثير من الناس بسبب تلك المجاعات⁽¹⁸⁾، وكذلك الامر في سنة 1372/هـ 774م، فقد ذكر المقريري احوال تلك السنة على بلاد الشام بقوله "وقدم البريد بغلاء الأسعار بدمشق وأن الغرارة الفمخ بلغت نحو خمسمائة درهم وأبيع الخبز بحلب كل رطل حليبي بستة دراهم والمكوك الفمخ بثلاثمائة درهم ونيف وأكلت الميتات والكلاب والقطاط ومات خلق كثير من المساكين وانكشف عدّة من الأغنياء وعم الغلاء ببلاد الشام كلها حتى أكلت القطاط وبيعت الأولاد بحلب وأعمالها"⁽¹⁹⁾، وقد لحق



ببلاد الشام الكثير من فصول الجفاف والايوبئة ذكرها اصحاب المصادر كالمقريزي والقلقشندي والنويري وغيرهم ، ونحنو ليس بصدد ذكرها بل ذكرت على سبيل تدعيم أسباب الفقر في بلاد الشام، والتي لخصت في الاحوال الاقتصادية للبلاد.

أما فيما عن الموقف الرسمي للدولة المملوكية من الفقراء فكان ايجابي حد كبير الامر الذي دفعهم الاشراف على الفقراء فقد كانت الهبات السلطانية توزع من خلال السلطان مباشر أو الولاة من خلال مؤسسات مختلفة والمنتشرة منها الخوانق⁽²⁰⁾ والزاوية⁽²¹⁾، وقد ذكر القلقشندي في سرده للوظائف الشامية ذكره " مشيخة الشيوخ " والتي تشرف على الخوانق ومهمتها الاطلاع على أوضاع الفقراء بنيابات الشام ، بشكل منفصل بما يخدم مصالح الفقراء ويسد حاجتهم وسياتي ذكر ذلك في الفصول اللاحقة بالتفصيل⁽²²⁾، وفيما بعد تطور مفهوم الوقف⁽²³⁾، وكان يوزع ريعها على الفقراء والمساكين وبناء الزاوية والخوانق وفداء الاسرى وغيرها⁽²⁴⁾، وقد اطلق لقب "ملجأ الفقراء والمساكين" على والي النياية وكذلك على السلطان المملوكي احياناً⁽²⁵⁾ ، من الملاحظ أن الوقف في العهد المملوكي قد تطور بشكل كبير، حيث أدارت الدولة المملوكية من خلال هذه المؤسسات كل ما يتعلق بالفقراء والايتم وتزويدها بما يلزمها على الرغم من التقلبات السياسية والصراعات على الحكم التي شهدتها فترة حكم المماليك ، فعلى طول فترة الحكم المملوكي لم تتوقف الحروب والغارات في بلاد الشام سواء من قبل التتار أو الصليبيين، ففي عام 126/هـ659م تعرضت بلاد الشام الى عدة هجمات من قبل التتار⁽²⁶⁾، وكذلك عام 1299/هـ699م⁽²⁷⁾ وكذلك عام 1335/هـ798م بقيادة تيمورلنك⁽²⁸⁾، وتخلل تلك الأعوام حركة التحرير الساحلية التي اطلقها المماليك ضد الصليبيين، وكانت للحركات العسكرية على الاراضي الشامية دور كبير في ارتفاع نسبة الفقر والمجاعات فأساليب النهب والقتل والتخريب التي اتبعها التتار خلال غزواتهم اثرت في ذلك بشكل واسع.

إلى جانب ذلك كانت الحروب والغزوات الخارجية وكذلك الثورات المحلية في مصر وبلاد الشام التي قادها الامراء واصحاب النيايات والفترة التي حكم فيها المماليك مصر وبلاد الشام استمرت ما يقارب القرن ونصف القرن، وهذه الفترة شهدت الكثير من الاحداث السياسية التي تركت اثرها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية واثرت بشكل كبير على الفقراء، ففي الثورات الداخلية استخدم الفقراء كالحرايش والزعران وغيرهم كجنود ووقود للثورات، وسنذكر عدد من الاحداث السياسية التي حدثت في بلاد الشام.

ثانياً: الثورات الداخلية في بلاد الشام وأثرها على الفقراء

1. ثورة الأمير سنجر الحلبي

من الثورات التي حدثت في تلك الفترة ثورة الامير سنجر الحلبي حيث كان بدمشق الأمير علم الدين سنجر الحلبي، وكان المظفر قد استنابته بدمشق، فلما قتل المظفر وتولى الظاهر وبلغ الأمير علم الدين ذلك رغب نفسه في الملك، فجمع من كان عنده من الأمراء وأعيان الدولة بدمشق وألزمهم بالحلف له، فأجابته بعض الأمراء ووافقوه بالاقون، فلما تم له الأمر ركب بشعار السلطنة ولقب نفسه بالملك المجاهد⁽²⁹⁾، وكتب الى النواب بالقلاع والى المنصور بحماه، والأشرف بحمص والى العزيزية يستميلهم ويرغب في طاعته، فأجابته بعضهم ، وخطب له على منابر دمشق، فلما بلغ الظاهر ذلك كتب إليه بتقبيح فعله ويسترجعه عنه فعدت أجوبته بالمغالطة⁽³⁰⁾.

فأرسل الظاهر بيبرس الأمير علاء الدين البندقدار⁽³¹⁾، للقضاء على ثورة الحلبي، ودخل علاء الدين البندقدار الى دمشق واستولى عليها وأعلن بشعار الظاهر وناب عنه⁽³²⁾، وفي عام 1261/هـ660م ثار الامير اقواش البردلي⁽³³⁾ على الظاهر بيبرس ، وحاول الاستيلاء على حلب، فاستخدم الظاهر بيبرس قائد الثورة السابقة الامير سنجر الحلبي ليتصدى لاقواش، فتم له ذلك الى ان اخمدت ثورة اقواش وعفى بيبرس عنه⁽³⁴⁾.

من المؤرخين الذين ذكروا آثار الثورات المباشرة على طبقة الفقراء في بلاد الشام ابن دقماق الاحوال الاقتصادية وموجة الغلاء نتيجة الصراع "وفيها غلت الأسعار بحلب وقل القوت فبلغ رطل اللحم سبع عشرة درهماً، ورطل السمك ثلاثين درهماً ورطل اللبن خمس عشرة ورطل الشيرج سبعين درهماً⁽³⁵⁾، ورطل الخل ثلاثين درهماً ورطل العسل ثلاثين درهماً ورطل الحب رمان ثلاثين درهماً ورطل السكر خمسين درهماً، ورطل الشراب ستين درهماً، والجدي بأربعين درهماً، والدجاجة بخمسة، والبيضة بدرهم ونصف، والبصلة بنصف درهم، والحزمة البقل بدرهم، والتفاحة بخمسة دراهم، حتى أكل الناس الميتة من شدة الغلاء⁽³⁶⁾.

ثورة الأمير سنقر الأشقر ضد السلطان المنصور بن قلاوون عام 1279/هـ678م حيث خرج سنقر الأشقر⁽³⁷⁾ على حكم المنصور بن قلاوون في الشام، وهجم على القلعة في دمشق وتملكها، وبويع له ولقب



بالسلطان الملك الكامل شمس الدين سنقر الصالحي⁽³⁸⁾، سَير السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون وعلم الدين سنجر الحلبي وصحبته ستة آلاف فارس من عسكر مصر، وضرب مصافاً مع سنقر الأشقر وعساكره الشاميين، وكان عدتهم أربع عشر ألف فارس على الجسورة بظاهر دمشق، فانكسر سنقر الأشقر، وهرب سنقر إلى صرخد، ثم إلى صهيون، وأقام بها⁽³⁹⁾.

2. ثورة السلطان الناصر محمد بن قلاوون على بيبرس الجاشنكير عام 709/1309م

تحت ضغط الامراء بقيادة بيبرس الجاشنكير⁽⁴⁰⁾ تنازل السلطان محمد بن قلاوون عن الحكم، ونفى الى حصن الكرك وعمل من بلاد الشام على استعادة حكمة، الى ان تم له ذلك ثم توجه الى مصر واسترد الحكم⁽⁴¹⁾.

ثالثاً: صراع الأمير يلبغا الناصري والسلطان الناصر برقوق 791/1388م

سيطر الامير يلبغا الناصري⁽⁴²⁾ على بلاد الشام وزحف الى مصر وسيطر على الحكم وعين الصالح حاجي بن الاشرف سلطان شكليا، وقبض على السلطان برقوق ونفاه الى الكرك⁽⁴³⁾ وفي عام 792/1389م تمكن الظاهر برقوق من استعادة حكمة⁽⁴⁴⁾.

وقد لحق ذلك عدة ثورات مثل ثورة الامراء في بلاد الشام ضد الامير المظفر احمد والامير طاطر عام 842/1438م، وكان للثورات اثراً كبيراً على الحياة الاقتصادية نتيجة اعمال التجنيد والقتال، والدارس لطبيعة الثورات في بلاد الشام أبان عهد المماليك البرجية والبحرية، نجد أن قائد الثورة عادة يكون من المماليك ولم يكن من المجتمع الشامي في حين شارك الشاميين في هذا الثورات كجنود ومواليين على عكس ما كان يحدث في مصر كثورة الصعيد والحرافيش.

لقد ظلت بلاد الشام مسرحاً سياسياً للصراع والتنافس والثورات والفتن والمؤامرات طوال عهد المماليك، بحيث تداول حكم نيابات الشام العديد من الامراء والنواب لفترات طويلة او قصيرة نتيجة الصراعات المحتمة وانتهت حياة اغلبهم بين القتل وهرب وأسر مما أثرت على طبيعة الأوضاع العامة في بلاد الشام ولاسيما طبقة الفقراء⁽⁴⁵⁾.

إضافة الى الصراعات الداخلية، شكلت غارات التتار عاملاً مؤثراً على أوضاع البلاد الاقتصادية فقد هاجم التتار عام 699/1299م⁽⁴⁶⁾، وكذلك عام 798/1335م⁽⁴⁷⁾، والصراع مع تيمورلنك⁽⁴⁸⁾، وتخلل تلك الاعوام حركة التحرير الساحلية التي اطلقها المماليك ضد الصليبيين، وكانت للحركات العسكرية على الاراضي الشامية دور كبير في ارتفاع نسبة الفتل والمجاعات فأساليب النهب والقتل والتخريب التي اتبعها التتار خلال غزواتهم اثرت في ذلك بشكل واسع، فيذكر المقرئ في أن بسبب غارات التتار المتلاحقة على حلب واطراف بلاد الشام غلت الاسعار وتعثر وجود الطعام والاقوات "أغار التتار الذين تحلفوا على أعمال حلب وعاثوا ونزل مقدمهم بيدرا على حلب وضايقها حتى غلت أسعارها وتعثر وجود القوت"⁽⁴⁹⁾.

ونتيجة الإعتبارات العسكرية دمر المماليك المدن الساحلية ومثال ذلك عسقلان وقيسارية وارسوف⁽⁵⁰⁾، وحيفا وعكا⁽⁵¹⁾، وتدل الاشارة التاريخية ان التدمير لم يقتصر على المدن فقط بل شمل القرى، وما يؤكد ذلك ما ذكره المقرئ في حديثه عن معارك الظاهر بيبرس عام 663/1264م، حيث فتحت عنتليت وأمر العسكر بتدميرها وقطع ما حولها من اشجار وكروم⁽⁵²⁾.

لا شك أن الحروب الصليبية قد أثرت على الحياة الاقتصادية في بلاد الشام، وكذلك الحياة الاجتماعية بكافة طبقاتها ومنها طبقة الفقراء، بحيث اصبحت الكتل السكانية في المدن الداخلية اكثر عدد بعد تدمير المدن الساحلية، وما نتج عن ذلك من تدمير للكروم والبساتين والمزارع حيث تأثرت بشكل كبير بتلك الحروب وكانت تلك الصعوبات امام الدولة المملوكية التي استطعت أن تجد الحلول وتحتوي الازمات التي لحقت ببلاد الشام من ازمات خارجية وداخلية، وللحيلولة دون تفاقم تلك الازمات التي من شأنها تكون مؤثرة على دولة المماليك

المبحث الثالث : الأوضاع الاجتماعية في بلاد الشام وأثرها على الفقراء

كان المجتمع الشامي في عهد المماليك لا يختلف كثيراً عن المجتمع المصري من حيث خضوعهم لأسرة حاكمة احتكرت الوظائف العليا، وحرمة السكان من المشاركة في ادارة امور البلاد، وكان المماليك هم أصحاب السيادة والطبقة المهيمنة على السلطة والنفوذ، وخضع اصحاب البلاد الأصليين من أهل الشام للواقع القائم وقبلوا بسياسة المماليك⁽⁵³⁾، فقسم المجتمع الشامي في العصر المملوكي الى طبقتين رئيسيتين، طبقة الحكام وهم المماليك، وطبقة المحكومين وهم أهل الشام.



فيما قسم المقريري المجتمع في عهد المماليك الى سبعة اقسام : الأول أهل الدولة من المماليك، الثاني أهل اليسار من التجار، والثالث متوسطوا الحال من السوق والباعة، والرابع أهل الفلح، والخامس الفقراء وطلاب العلم، والسادس أرباب الصناعات وأصحاب المهن، والسابع ذوو الحاجة والمسكنة⁽⁵⁴⁾. وبالنظر الى التقسيم التي وضعها المقريري للسكان في العصر المملوكي نجد أن التجار كانوا أصحاب موقف مادي والذي تترجم على أرض الواقع من خلال تحقيق الارباح والبحث عن المنفعة المادية ، كما ذكر المقريري⁽⁵⁵⁾، وينضم لهم أيضا الفئة الثالثة من الباعة والتجار المحليين.

في حين كانت الطبقة السادسة من أرباب الحرف تتأثر بالضرائب والاضعاع السياسية وعانى الحرفيون من الضرائب التي فرضتها الدولة، والتي تثقل كواهلهم، كالضرائب التي فرضت على الأفران والطواحين الدائرة بالبقر وأنوال الحياكة⁽⁵⁶⁾ ، وبطبيعة الحال كان المجتمع الشامي بشكل عام مجتمع زراعي يقوم الاقتصاد الشامي على الزراعة، ويعد الفلاحون عنصر من عناصر المجتمع الشامي المملوكي، وهم الغالبية العظمى من سكان البلاد، تصفوا بالهدوء والاستقرار، إذا لم يقوموا بأي نوع من الشغب أو مساندة الثورات التي كانت تقوم بين حين وآخر، شكل مجتمع القرية مجتمعا متكامل و متناسقا، فقد وجد في كل قرية شيخ أو أكثر كانت عليه مسؤولية حفظ النظام فيه، إذ كان هو المسؤول أمام السلطة المملوكية، ويتوقف عليه فض الخلافات التي كانت تقوم بين الفلاحين، وتعتمد الدولة عليه في جمع الضرائب من الفلاحين⁽⁵⁷⁾، وكانت تدار الشؤون الزراعية وفق النظام الاقطاعي المملوكي سابق الذكر.

وكان نظام الفلاحة السائد في بلاد الشام دور كبير في فقر طبقة الفلاحين، حيث انعكس على حياتهم وكانوا شبة اقتان، حيث عانوا فلاحى بلاد الشام كثيراً من المصاعب منها تعرضهم لظلم الأمراء الذين كانوا يستغلون الفلاح فيعرضون عليه الأموال والضرائب، فإذا لم يدفع تعرض للضرب والإهانة⁽⁵⁸⁾، بالإضافة إلى عمليات القتل والنهب والسبي في حالة حركات التمرد والعصيان التي كان أمراء المماليك يقومون بها، فعندما تمرد الأمير بيغاروس⁽⁵⁹⁾ وحاصر دمشق سنة 135/هـ 753م، تعرض الفلاح إلى النهب والسبي والحرق والغارات على بساتينه⁽⁶⁰⁾ ، والضرائب التي فرضتها الدولة على الفلاح عديدة منها: ضريبة "المكس"⁽⁶¹⁾، التي كانت تسمى "مكس الغلة"، وضريبة سنوية للإنفاق على عمارة جسور البلاد وتطهير الزرع والقنوات، وضريبة التي تقدم للمقطع وتتكون من العدس والكشك، والضريبة التي تؤخذ على البساتين والكروم عند النضج⁽⁶²⁾.

وذكرت المصادر التاريخية فئة من فئات المجتمع الشامي وهي الزعر أو الزعران ويعد الزعر عنصر من عناصر المجتمع الشامي المملوكي، وكانوا يعرفون في مصر بالحرافيش، وفي العراق بالعيارين، ووجدوا في كل حي من أحياء دمشق ، وذكر منهم زعر الشاغور، وزعر الميدان، وزعر الصالحية، وزعر بردى⁽⁶³⁾، ولعل التدهور الاقتصادي الذي أصاب الدولة المملوكية هو الذي سبب ظهور هذا العنصر في المجتمع الشامي، حيث أدى إلى ازدياد عدد العاطلين عن العمل⁽⁶⁴⁾، وقد اشترك هؤلاء في الحركات والثورات التي انطلقت في بلاد الشام بحيث كان يستخدمهم الأمراء الثائرون على الحكم .

وقد شكل البدو عنصر مهما من عناصر المجتمع الشامي ، وقد حاول سلاطين المماليك ادخال عشائر البدو ببلاد الشام في النظام الاقطاعي فاضفوا على زعماء تلك العشائر القاب الأمراء، وإقطاعهم الاقطاعات، وفرضوا عليهم التزامات معينة أهمها الولاء للدولة وحراسة الطرق والدروب الصحراوية وتقديم الرجال وقت الحروب⁽⁶⁵⁾.

ولكن طبيعة البدو الغير مقيدة بالتزامات حالت دون ذلك فقد تخللت تلك العلاقة حركات عصيان ضد المماليك، وراتات فعل من قبل المماليك على هذا العصيان مثلما قام الاشراف خليل بن قلاوون بالقبض على عدد منهم وتأديب بعضهم⁽⁶⁶⁾.

أما فيما يخص التنوع الديني في بلاد الشام فقد كان معظم السكان من المسلمين مع وجود عدد كبير من المسيحيين، وقد انعكست الأحوال الاجتماعية، والاقتصادية على الجميع⁽⁶⁷⁾.

حيث توجد ببلاد الشام اقلية عرقية مثل التركمان والاكرد وبعض الجركس والمغول، ولكنهم في النهاية انصهروا بالمجتمع الشامي .



المبحث الرابع: الأوضاع الاقتصادية للفقراء في بلاد الشام

تعتبر الحالة الاقتصادية لأية أمة من الأمم بمثابة العمود الفقري لها، فإذا كان الاقتصاد قويا وأحسن استغلاله في تيسير حاجات البلاد وبناء نهضتها، وتشبيد حضارتها؛ كان ذلك مدعاة إلى التقدم والازدهار في جميع المجالات، والتأثير بالإيجاب على دخل الفرد وبالتالي انخفاض معدل الفقر بين المواطنين. أما إذا كان اقتصاد أي بلد عكس ذلك، فإنه يكون مدعاة للظلم والقهر والسلب وخذلان البلاد والعباد، ونجد أن دولة المماليك في بدايتها كانت تتمتع باقتصاد جيد إلى إن اختلاف السياسة الادارية والاقتصادي نتيجة السياسة الاقطاعية العسكرية وكثرة الحروب اثرت على الحياة الاقتصادية في على إمتداد التاريخ المملوكي سواء دولة بحرية او برجية.

إن قوام الاقتصاد الشامي في العهد المملوكي قائم على الزراعة، كما ان النظام الاقتصادي المملوكي قائم على الاقطاع العسكري⁽⁶⁸⁾، ويقع على كاهل المزارع كامل الأعمال الزراعية مثل حرث الارض وزرعها وحصدها وتخزين نتاجها⁽⁶⁹⁾، وهذا النوع من الاقتصاديات القائم على الاقطاع العسكري يقع العائق الأكبر على الدولة في إدارته، فالسياسة المتبعة من قبل الدولة أو والي النيابة هي إلى من شأنها أن تقرر مستوى دخل المزارع الذي يعمل عند الاقطاعي.

لقد خضع الفلاحون لقوانين في التعامل الزراعي فهم لم يكونوا ملاكاً لأرض، بل كانوا يديرون الارض لحساب رجال الاقطاع والاقواق والملاك، وقامت القوانين على عدة قواعد هي قاعدة المقاسمة، أو المثلثة أو المربعة أو المخامسة أو المسادسة أو المسابعة أو المثامنة، وغالباً ما اعتمدت قاعدة المقاسمة في الاراضي المرويه، وسادت قاعدة المربعة في غالبية أراضي البعل التي كانت تزرع بالحبوب واستخدمت قواعد المخامسة والمسادسة الى المثامنة في الاراضي التي وقعت على الاطراف وكانت عرضة لاختار العدو⁽⁷⁰⁾، ويوحى هذا للوهلة الاولى أن الفلاح كان في وضع جيد، الا انه مجحف بحق الفلاح الذي لا يملك أي ارض ويتحمل اعباء الزراعة من بزور وحرث ونقل وغيره من التكاليف الانتاجية، اضافة الى دفعة ما يستوجب وفق الشريعة الاسلامية، والمكوس السلطانية والقيمة الاقطاعية سابقة الذكر الاقطاعية.

ونتيجة للسياسات الاقتصادية التي اتبعتها الدولة المملوكية كان لها أثر كبير على طبقة الفلاحين لاسيما أنها من الطبقات الفقيرة الأمر الذي ترتب عليه حركة نزوح كبيرة بين الفلاحين، ويذكر صاحب كتاب معين النعم ومبيد النقم، " وقد جرت عادة الشام بأن من نزع من دون ثلاث سنين يلزم ويعاد الى القرية قهراً ويلزم بشدة الفلاحة"⁽⁷¹⁾ وكان الفلاحون يتعرضون لدفع أنواع مستحدثة من الضرائب حسب ما كانت تقتضي به الاوضاع السياسية والعسكرية، وكان عليهم دفع ضرائب لخدمة البريد وغيرها⁽⁷²⁾.

أما فيما يخص أهل المدن فقد اختلف الوضع قليلاً بحسب السياسة الادارية للحكام والسلاطين، وبالنظر الى الأحوال الاقتصادية والأسعار في تلك الفترة في المدن الشامية نجدها متفاوتة بين الصعود والهبوط، فقد لاقى أهل المدن ويلات من حكام المماليك بما فرضوا عليهم من الضرائب والغرامات والتكاليف التي لا طاقة لهم بها، فقد حفلت المصادر بوصف هذا القهر والتعسف الذي طوق سكان المدن المملوكية، ففرضت الضرائب، على الاوقاف والتراب⁽⁷³⁾، والمدارس، ونجروا على العلماء والصالحين، وحطوا من شأنهم وتحين ساعته من يطالب ديناً من الحكام وأجنادهم، وإذا تعذر عليهم ذلك قاموا ببيع الأوقاف بمال زهيد بعد أن استلمها أناس ليس لهم دراية بالأمور الشرعية، وقد تصادف أن فرض أكثر من ضريبة في آن واحد من أجل الحرب، أو تعمير القلاع، وبناء الجسور والأسوار⁽⁷⁴⁾.

وقد انتشر في العهد المملوكي سياسة الشراء بالإكراه، وهذا واضح من خلال استثمار المماليك بعض أموالهم في التجارة وعقدهم الشراكة مع بعض التجار ليتاجروا بالنيابة عنهم. وقد كان لنفوذهم وسيطرتهم على مقاليد الحكم دور كبير في التحكم في قوى الإنتاج في المجتمع وعمليات الشراء والبيع بالإكراه، كما كان يحدث في بيع كميات من الزيت في منطقة القدس ونابلس حيث كان المماليك هم من يحدد السعر الذي يتم البيع به، وبهذه الطريقة تجنى الفوائد على السلع وهي ما زالت في مناطق إنتاجها⁽⁷⁵⁾.

كانت جميع المدن الرئيسية في العقود الاخيرة من الحكم المملوكي مكوبة بشكل مؤلم بالمشتريات بالإكراه، فقد اجبر حاكم دمشق في 1461/886م، الوستاء واشخاص اخرين على شراء السكر من معمل التكريير الذي يملكه بأسعار تتفاوت بين قيمة اعلى من قيمة السعر العادي التي بلغت ثلاثة دراهم للرطل الواحد، مضاعفا الثمن الى ثلاثين درهم، اضافة الى ذلك وجد انواع من السلع كانت محتكرة من قبل الدولة فقط مثل الخشب والحديد واحياناً الحبوب⁽⁷⁶⁾.



حيث كانت هناك طبقة من الناس المهمشين والفقراء يطلق عليها الحرافيش والزعر⁽⁷⁷⁾، وهم الذين لا عمل ثابت لهم فقد كانوا يعيشون على الصدقات وهبات السلاطين، بالإضافة الى عملهم في التنظيف والحراسة ونقل النفايات خارج المدن، ويذكر المقرئ ان اجرتهم كانت درهم ونصف وثلاثة ارغفة، وقد قام هؤلاء بثورة عرفت بثورة الحرافيش في مصر، في حين استخدم هؤلاء في بلاد الشام من قبل الامراء للمشاركة في ثوراتهم الانفصالية او الرامية الى السيطرة على الحكم.⁽⁷⁸⁾

اختلفت السياسة الادارية للدولة المملوكية، فالأحوال الاقتصادية تتأثر بمدى الانفاق على المشاريع التنموية وكذلك الأوضاع العسكرية فالاستقرار والبناء يساعد على استقرار الأحوال الاقتصادية وعكس ذلك يؤدي الى تدهور الأوضاع، حيث اختلفت السياسة المتبعة من قبل السلاطين فيما يخص المكوس والضرائب ، فوجد أن بعض السلاطين امثال الناصر قلاوون أبطل عدة ضرائب مثل مكس الغلة⁽⁷⁹⁾.

أضافة الى ذلك نجد أن الأوضاع الاقتصادية في الشام تتأثر بعوامل اخرى، وكما ذكرنا ان الاقتصاد الشامي هو اقتصاد زراعي على الأغلب فان الأحوال المناخية تؤثر سلباً وإيجاباً، فقد ذكرت المصادر ان حدوث مواسم الجفاف وانحباس الامطار كان لها دوراً كبيراً في التأثير على الأحوال الاقتصادية في بلاد الشام ومصر، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في الفصل القادم.

خلقت هذه الاحوال الاقتصادية في بلاد الشام وأيضاً مصر نظاماً إقطاعياً بامتياز مكتمل الأركان مؤثراً على كافة مناحي الحياة الاقتصادية في بلاد الشام ، والى جانب ذلك خلقت طبقات اجتماعية ارسنقراطية وبرجوازية ، فالطبقة المملوكية كانت تتمتع بنفوذ مكنها من استغلال مكانها وتكوين ثروات على حساب الطبقة البرجوازية من خلال مشاركتها أو ابتزازها، وبالتالي تأثرت طبقة العامة نتيجة هذه السياسة مما أدى الى ارتفاع الاسعار معدل الفقر.

وقد تراوحت حدة الآثار الجانبية للسياسة الإقطاعية العسكرية المملوكية ، باختلاف السياسة المتبعة من قبل السلاطين وامراء النيابات الشامية .

المبحث الخامس: المؤسسات التي أنشأتها الدولة المملوكية للفقراء

انتشر في عهد الدولة المملوكية العديد من المؤسسات التي كانت تعمل على رعاية الفقراء والمساكين وتقديم العون لهم، فكانت هذا المؤسسات تتبع لإدارة الدولة المملوكية ويخصص لها اوقاف لتمويلها، وجزء اخر من تلك المؤسسات كانت عبارة عن تبرعات من بعض التجارة واصحاب الاموال ورجال الدين الصوفييين وغيرهم، وقد اخذت مسميات عدة لكن لم تخلف كثيراً في نوع الخدمة التي تقدم للفقراء ، ومن هذا المؤسسات ما عرف بالزوايا والخوانق والاربطة والمدارس.

حيث ازدهرت مدن الشام بأوقافها برعاية الدولة المملوكية التي اهتم سلاطينها وأمراؤها بإنشاء المؤسسات الخيرية ووقفها على مصالح المسلمين، وقد ازدهرت المباني الوقفية كالمدراس والربط والزوايا، فاهتموا برعاية طلبة العلم وكفلوا لهم النفقة والكسوة والطعام.

حيث شهدت الحياة الفكرية نشاط واضح بعد زوال الغزو الصليبي، فقد تعددت روافد تلك الحياة الفكرية، وتمثلت في إنشاء الكثير من المراكز العلمية، من مدارس، ومساجد، ومكتبات، وبیمارستانات، وزوايا، وخوانق، وربط، وكانوا يعينون لها الأوقاف لتسيير شؤونها ، بحيث تمثل دخلاً ثابتاً يساعدها في تأدية رسالتها الفكرية وترسيخ نظامها ، وكانوا يعينون لها الشيوخ ، والمدرسين ، ونظار الوقف، وفي تلك المراكز العلمية، درّست العلوم المختلفة: العلوم الدينية، علوم اللغة العربية، التاريخ، والعلوم العقلية، وظهر الكثير من المفكرين والأدباء، وبيوتات علم من بيت المقدس، وصنفت مصنفات في مختلف مجالات العلوم. وقد صورّ العماد الأصفهاني بعض معالم الحياة الفكرية في بيت المقدس بعد تحريرها من الصليبيين، فقال: " ... فما ترى إلا قارئاً باللسان الفصيح، وراويّاً للكتاب الصحيح، ومتكلماً في مسألة، متصفحاً عن مشكلة، مورداً لحديث نبوي، وسائلاً عن لفظ لغوي، ومعنى نحوي، أو مقرضاً بقريض أو معرضاً بتصریح، أو مصرحاً بتعريض، أو ناشداً بنشيد، أو مسمعاً بتغريب أو تغريد⁽⁸⁰⁾ .



أولاً : الزوايا والخوانق خلال العهد المملوكي

الزوايا هي كلمة عربية تعني الركن من الدار أو المكان عامة، وهي جمع زاوية، أطلقت على المكان الذي يأوي إليه الكثير من المتصوفة والمنقطعين من الزهاد والعباد، وهي شبيهة أيضاً بالرباط و"الخانقاه"، إلا أنها أصغر، وهي أبنية صغيرة منفصلة في جهات مختلفة من المدينة، في شكل دور، أو مساجد صغيرة، يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس، ويتعبدون فيها ويعقدون بها حلقات دراسية في علوم الدي، كما يعقد فيها مشايخ الطرق الصوفية حلقات الذكر، وقد تكون الزاوية في ناحية من نواحي المساجد الكبرى⁽⁸¹⁾.

ويبدو أن بداية ظهور الزوايا كانت في إيران في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، ثم أخذت تنتشر غرباً إلى أن دخلت الشام ومصر في عصر صلاح الدين الأيوبي، وتعتبر فترة حكم صلاح الدين الأيوبي فترة مهمة في تاريخ ظهور الزوايا والحركات الصوفية بشكل عام وذلك بسبب توفر الدعم من الحكومات والسلطين المسلمين لظاهرة التصوف، التي أصبح يعول عليها في دورها الهام في التصدي للمد الشيوعي الذي رعاه الفاطميون، ما شجع قدوم أعداد كبيرة من الزهاد والمتعبدين والصالحين للاعتكاف بالقرب من الأماكن المقدسة في القدس⁽⁸²⁾.

وما هو جدير بالإشارة أن دولة المماليك بدأت منذ السنوات الأولى لحكم السلطان برقوق في تشجيع إنشاء الزوايا والخوانق، وتركز معظمها في القدس والخليل ونابلس، وقد أفرد مجير الدين الحنبلي، فصلاً خاصاً ذكر فيه الكثير من الزوايا التي تم تأسيسها في المدن الفلسطينية في عهد المماليك⁽⁸³⁾.

حيث إنهم المماليك ببناء الزوايا والخوانق في القدس، فبنوا زوايا وخوانق في القدس أكثر من غيرها من المدن الفلسطينية وذلك لمكانتها الدينية بالنسبة للمسلمين، وقد بلغ عدد الزوايا التي وردت في الأناضول الجليل أكثر من ثمانية عشر زاوية، وقد قال مجير الدين: وفي المدينة عدة أماكن من الزوايا..⁽⁸⁴⁾

تعددت وظائف الزوايا عبر التاريخ الإسلامي، فقد كانت الزوايا مكان عبادة في الأصل، ولكن بالنظر إلى وظائف الزوايا في العصر المملوكي، نجدتها كما وصفها ابن بطوطة " وأما الزوايا فكثيرة وهو يسمونها الخوانق وأحدها خانقة، والأمراء بمصر يتنافسون في بناء الزوايا وكل زاوية بمصر معينة لطائفة من الفقراء وأكثرهم الأعاجم وهم أهل أدب ومعرفة بطريقة التصوف ولكل زاوية شيخ وحارس وترتيب أمورهم عجيب ومن عواندهم في الطعام أنه يأتي خديم الزاوية إلى الفقراء صباحاً فيعين له كل واحد ما يشتهي من الطعام فإذا اجتمعوا للأكل جعلوا لكل إنسان خبز ومرة في إناء على حدة لا يشاركه فيه أحد وطعامهم مرتان في اليوم ولهم كسوة الشتاء وكسوة الصيف ومرتب شهري من ثلاثين درهماً للواحد في الشهر إلى عشرين ولهم الحلاوة من السكر كل ليلة جمعة والصابون لغسل أثوابهم والأجرة لدخول الحمام والزيت للإستصباح وهم أعزب وللمتزوجين زوايا على حدة ومن المشترك عليهم حضور الصلوات الخمس والمبيت بالزاوية"⁽⁸⁵⁾.

ومن خلال قول ابن بطوطة نستنتج أن طبيعة عمل الزوايا في العهد المملوكي، قائمة على شقين الأول يتعلق بإيواء الفقراء والمساكين، وما يترتب على إيوائهم من خدمات كإطعامهم وكسوتهم، ومبيتهم، وغيرها من الأمور الخاصة بحياة الفقراء.

أما الشق الآخر فيتعلق بالعبادة، من خلال متابعة حرصهم على تأديته شعائرهم الدينية ويتضح أيضاً أن القائمين على بناء الزاوية والانفاق عليها هم طبقة الأمراء.

ويرجح أن سبب إنتشار الزوايا في عهد المماليك إلى حكومة المماليك حيث بدأت منذ السنوات الأولى لحكم السلطان برقوق (784-801/1382م-1398م) في تشجيع إنشاء الخوانق وادماج التعليم الصوفي بالتعليم العام، إضافة إلى خوف سلاطين المماليك من تدهور أوضاع البلاد من كافة النواحي مما يؤدي إلى بروز معارضة خصوصاً من جانب الفقراء، كما كان للكوارث التي حلت ببلاد الشام دوراً في ذلك⁽⁸⁶⁾.

ومع ارتباط الزوايا بالتصوف كان شيخ الصوفية يعين من قبل السلطان كما أن ديوان الإنشاء حدد القابهم واسلوب مكاتبهم، ويذكر المقرئ أن القاب مشايخ الصوفية خمسة ترتب على التوالي: المقر، الجناب، المجلس، مجلس الشيخ، درجة الشيخ⁽⁸⁷⁾.

لم يفرق ابن بطوطة بين مصطلح الزاوية، ومصطلح الخوانق لتشابه المهام في تلك الفترة، وفي العهد المملوكي تشابهت مهام كل من الخوانق والزوايا، والخوانق كلمة فارسية الأصل بمعنى البيت وتبنى على هيئة مسجد بدون منذنة، يحيط بها عدد من الغرف، مخصصة لاستقبال الفقراء وعابري السبيل لإقامتهم بها وقد رتب فيها العلماء والمشايخ دروساً في مختلف العلوم وخصوصاً القرآن والسنة والفقه الإسلامي⁽⁸⁸⁾.

سنحاول سرد الخوانق والزوايا التي بنيت في عهد الدولة المملوكية فقط، مع العلم أن الخوانق والزوايا وجدت قبل فترة حكم المماليك حيث أول من بني الخوانق هو صلاح الدين الأيوبي، حيث شهدت فترة حكم المماليك



أنشاء العديد المؤسسات الخاصة بالفقراء والتي قامت على إدارتها ورعايتها والدليل على ذلك العديد من إنشاء المؤسسات مثل الخوانق، والزوايا، فمنها من انشأ من قبل المماليك وأخرى ناشئة كزوايا لشخصيات صوفية ولكن كانت تصلها الهبات من السلاطين والامراء، وقد توزعت الزوايا في بلاد الشام في نيابتها وخاصة في مدينتي القدس ودمشق وحلب وغيرها من الولايات، وسنذكر أبرز الزوايا والخوانق التي بنيت في عهد المماليك التي تدل على إهتمامهم بأمر الفقراء⁽⁸⁹⁾.

1. الزوايا الخوانق في القدس:

أ. زوايا القدس:

1. الزاوية المهمازية : تقع على مقربة من السور الشمالي للحرم القدسي بالقرب من المعظمية⁽⁹⁰⁾، من جهة الغرب منسوبة للشيخ كمال الدين المهبازي، واقطع لها الملك الصالح اسماعيل بن ناصر قلاوون بيت لقباً من أعمال القدس في سنة (74هـ-1354م) وبها قبر رجل من ذريته اسمه الشيخ خير الدين خضر المهبازي الذي توفي في شهر شوال 747 هـ / 1346 م⁽⁹¹⁾.

2.الزاوية المحمدية: بجوار الباوردية من جهة الغرب واقفها مُحَمَّد بك زَكْرِيَّا الناصري تَارِيخ وَقْفَهَا فِي سنة(751هـ-1350)⁽⁹²⁾.

3. زاوية المغاربة : في حارة المغاربة اوقفها الشيخ عمر بن عبدالله بن عبد النبي المغربي ، من ماله الخاص واكنت مخصصة لكسوة الفقراء واطعامهم⁽⁹³⁾.

4. الزاوية اللؤلؤية : بالقرب من باب العمود وقد انشئها بدر الدين لؤلؤ غازي عتيق السلطان المملوكي الاشرف شعبان بن حسين، وكانت مخصصة للتصوف من الفقراء المنقطعين في مدينة القدس الشريف⁽⁹⁴⁾.

ب : خوانق القدس

1. الخانقاه الفخرية : تقع في القدس الشريف بجوار جامع المغاربة ، شيدها القاضي فخر الدين ابو عبدالله ، ناظر الجيوش الاسلامية بالديار المصرية المتوفي سنة (732هـ-1331م).⁽⁹⁵⁾

2. الخانقاه الصالحية: انشئها صلاح الدين الايوبي ، وقطع لها الوقف ، وظلت تعمل في عهد المماليك (585هـ-1189)⁽⁹⁶⁾.

2. الزوايا والخوانق في دمشق:

أ. زوايا دمشق:

1.الزاوية الاعقبية: بناها في دمشق الشيخ أحمد الأعقف الحريري شهاب الدين بن حامد (بن سعيد التنوخي الحريري، توفي سنة (723 هـ - 1323 م)⁽⁹⁷⁾.

2.الحصنية: أنشأها الشيخ تقي الدين الحصني،(864هـ-1460) بالشاغور وقف عليها وقفا الأمير سودون بن عبد الله التنبكي الدواداري⁽⁹⁸⁾.

3.الزاوية السيوفية: بناها في دمشق نجم الدين عيسى بن شاه أرمن الرومي توفي سنة (710 هـ-1310م) وأوقف الملك الناصر عليها وعلى ذرية الشيخ نجم الدين قريتي عين الفيحة⁽⁹⁹⁾.

4.الزاوية الوطنية: في دمشق كانت مخصصة للمغاربة على اختلاف أجناسهم بشرط أن لا يكون النازل بها مبتدعا ولا شريرا، وقفها الرئيس علاء الدين علي المشهور بابن وطية الموقت بالجامع الأموي ووقف عليها حوانيت وطباقا حولها سنة 901هـ-1495م، وتعرف بزوايا المغاربة⁽¹⁰⁰⁾.

ب.خوانق دمشق:

1.الخانقاه الباسطية : شيدها القاضي زين الدين عبد الباسط خليل ناظر الجيوش الاسلامية، سنة (836هـ-1432م)، في عهد الملك الاشرف برسباي، ووقف لها وقفا حسنة⁽¹⁰¹⁾.

2.الخانقاه العزية: تقع في الجسر الابيض، شيدها الامير عز الدين ايدير الظاهري ،نائب الشام المتوفي سنة (660هـ-1262م)⁽¹⁰²⁾.

3.الخانقاه الشهابية: بناها الامير ايديكن بن علاء الدين الشهابي⁽¹⁰³⁾، المتوفي (677هـ-1278م)، ووقف لها الاوقاف⁽¹⁰⁴⁾.

4.الخانقاه النجيبية: شيدها الامير اقواش النجيب الصالحي سنة(677هـ-1278م)⁽¹⁰⁵⁾.

3. الزوايا والخوانق في حلب:

أ - زوايا حلب:

1. زاوية تغري برمش : شيدها سنة(741هـ-1340م)، واقطع لها الاوقاف وجعل لها شيخ⁽¹⁰⁶⁾.



2. زاوية خشقدم: شيدها السلطان الظاهر خشقدم⁽¹⁰⁷⁾، والذي توفي سنة (842هـ-1438م) واقتطع لها وقفا وفيرا⁽¹⁰⁸⁾.

لم يقتصر بناء الزوايا والخوانق على هذه المدن فقط ، فقد بنيت في أغلب النيابات الشامية بشكل رسمي أو بشكل أعمال خيرية من بعض الملاك والتجار، فقد حوت كل من الخليل وغزة وطرابلس وغيرها من المدن الشامية العديد من الخوانق والزوايا.

ثانياً: الأربطة خلال العهد المملوكي:

الربط جمع رباط، وهو دار يسكنها أهل طريق الله، والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوم الثغر رباطاً. وربما سميت الخيل نفسها رباطاً، والرباط المواظبة على الأمر⁽¹⁰⁹⁾.

اتخذ الربط والزوايا أصل من السنة، وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، اتخذ لفقراء الصحابة الذين لا يأوون إلى أهل ولا مال مكاناً من مسجده، كانوا يقيمون به عرفوا بأهل الصفة⁽¹¹⁰⁾.

وجدت الأربطة خلال العهود الإسلامية بصفات مختلفة ، وأول من اتخذ دار الضيافة الواردين الوليد بن عبد الملك الأموي واتخذ بعده عمر بن عبد العزيز داراً لطعام المساكين والفقراء وابن السبيل، وكان لنور الدين محمود بن زنكي يد طولي في الاستكثار من الربط والخوانق بني منها في جميع مملكته للصوفية ووقف عليها الوقوف الكثيرة وأدار عليها الإدارات الصالحة، وكان يكرم الصوفية والفقهاء والعلماء.

وقد جدد الظاهر دور الضيافة للرسول والواردين، ويؤخذ مما قاله المقرئ أن الرباط دار يسكنها أهل طريق الله⁽¹¹¹⁾، ومن الأربطة التي بنيت في العهد المملوكي في بلاد الشام ما يلي:

أ. الأربطة في دمشق:

1. الرباط التكريتي: بالقرب من الرباط الناصري بقاسيون. قال ابن كثير في سنة سبعين وستمائة: شيد في (670هـ-1271م)، من قبل وجيه الدين محمد بن علي بن أبي طالب بن

2. سويد التكريتي التاجر الكبير ابن سويد ذو الأموال الكثيرة وكان معظماً عند الدولة ولا سيما عند الملك الظاهر كان يجله ويكرمه⁽¹¹²⁾.

3. رباط غرس الدين خليل: المتوفي سنة (873هـ-1467م) من ولاية دمشق، كان معروفاً بباب الجابية⁽¹¹³⁾

4. رباط الشيخ محي الدين بالصالحية: بناه على قبر محي الدين ابن عربي⁽¹¹⁴⁾، السلطان سليم خان وجعله جامعاً وتكية لطعام الفقراء في (922هـ-1516م)⁽¹¹⁵⁾.

ب. الأربطة في القدس:

1. رباط علاء الدين البصير: تجاه الرباط المنصوري واقفه، علاء الدين آيدغدي⁽¹¹⁶⁾، سنة (666هـ-1268م)⁽¹¹⁷⁾.

2. الرباط المنصوري : بالقرب من باب الناظر، أوقفه الامير علاء الدين بن عبدالله الصالحي سنة (660هـ-1267م) في عهد الظاهر بيبرس⁽¹¹⁸⁾.

لا شك الأربطة ظهرت كمنشآت حربية الهدف منها الدفاع عن الثغور الإسلامية في مواجهة أي اعتداءات من قبل أعداء الإسلام، وقد أدى توقف حركة الفتوحات الإسلامية إلى تقلص دور الأربطة، وزاد في هذا تغير نمط الجيوش الإسلامية، وهو ما أدى إلى تغير وظيفة الأربطة، وفقدتها لطابعها الحربي، وصارت لها وظائف متعددة، حيث تغلبت عليها الصفة الدينية وحدها، وغدت الأربطة تقام في الأماكن العامرة، بعد أن كانت تقام في أطراف المدن وعلى حدود الدولة، وصارت ملاجئ مستديمة لفريق من الناس يستحقون الرعاية، وبخاصة أصحاب العاهات وكبار السن والعميان ومأوى للمسافرين والمحتاجين، وتوزيع المال والطعام على الفقراء كل عام.

ثالثاً: الأوقاف ودورها في رعاية الفقراء

يعد الوقف سمة من سمات الحضارة الإسلامية بكامل عهدها ، فق كان منذ بزوغ فجر الرسالة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد كان لها دور كبيراً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية الإسلامية.

الوقف في اللغة: الكف والحبس⁽¹¹⁹⁾



في الاصطلاح: فقد اختلفت عبارات الفقهاء في تحديد معنى الوقف تبعاً لاختلافهم من حيث الشروط والأركان:⁽¹²⁰⁾

1. المذهب الحنفي: حبس العين على حكم ملك الله والتصدق بالمنفعة.
 2. المذهب الشافعي: تحبب مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه، بقطع تصرف الواقف وغيره في رقبته، ويصرف في جهة خير تقريباً إلى الله تعالى.
 3. المذهب الحنبلي: تحبب الأصل وتسبيل الثمرة.
 4. المذهب المالكي: جعل منفعة مملوك ولو بأجرة، أو غلقه لمستحقه بصيغة مدة ما يراه المحبس.
- يذكر النووي في تعريفه للأوقاف الإلهية، بأنها العقار الذي يملكه شخص لآخر، وبعد ذلك يشهد عليه الشهود بأنه أوقفه، وتصدق به⁽¹²¹⁾، ويذكرها المقرزي بقوله "وهي التي لها ناظر خاص، إما من أولاد الواقف أو من ولاية السلطان أو القاضي، وفي هذه الجهة الخوانك والمدارس والجوامع والترب، وكان متحصلها قد خرج عن الحد في الكثرة لما حدث في الدولة التركية من بناء المدارس والجوامع والترب وغيرهما، وصاروا يفردون أراضي من أعمال مصر والشامات⁽¹²²⁾."

أوردت المصادر التاريخية نماذج من الأربطة والخوانق التي اقتطعت لها الأوقاف، ومثال ذلك الرباط المنصوري في دمشق الذي اقتطع له الوقف في عهد الظاهر بيبرس⁽¹²³⁾، وزاوي خشقدم في حلب والتي اقتطعت لها وقفاً من قبل السلطان خشقدم⁽¹²⁴⁾، وزاوية تغري بردي التي اقتطعت لها الأوقاف من قبله⁽¹²⁵⁾.

لقد ارتبطت المؤسسات والعناصر المملوكية بنظام الوقف الذي أمدها بالموارد المالية لتمكين من أداء رسالتها والقيام بمسؤولياتها الاجتماعية، بحيث يمكننا القول إن نظام الوقف في الإسلام كان حجر الأساس الذي قامت الحضارة العربية الإسلامية⁽¹²⁶⁾ عليه جميع المؤسسات الخيرية والاجتماعية وعبر تاريخ حظيت الأوقاف باهتمام المماليك فوقوا على المنشآت التي أقاموها الأوقاف العديدة وذات الإيرادات الوفيرة، حتى يضمّنوا لهذه المنشآت والمؤسسات البقاء والاستمرار في أداء أعمالها وتحقيق أهدافها وقد لفتت الأوقاف بسعة حجمها، وتنوع مواردها، ودورها في ازدهار المنشآت والمؤسسات المتعددة في بلاد الشام⁽¹²⁷⁾، وقد سجل لنا ابن بطوطة 703 هـ - 756 هـ في رحلته اتساع الأوقاف ذات النفع العام في العصر المملوكي، فذكر أن الأوقاف بدمشق لا تحصر أنواعها، منها أوقاف على العاجزين على الحج ومنها أوقاف لتجهيز البنات لزوجهن، وأوقاف لتحرير ورصفها وغيرها⁽¹²⁸⁾، كانت الأوقاف في القدس في هذا العصر المصدر الأساسي للإنفاق على الحياة الدينية والتعليمية وعلى المؤسسات الخيرية المتعددة، بحيث أضحت الأوقاف من دعائم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية فيها الحياة فيها وتحقيق التقدم والازدهار وعامل من عوامل توفير الحياة الكريمة لأهلها، وفي ما يلي أمثلة على أوقاف المماليك في القدس:

1. في سنة 661هـ/1262م قام الظاهر بيبرس بزيارة القدس فوقف على أحوالها وحاجاتها، وخصوصاً يحتاج إليه المسجد الأقصى وقبة الصخرة من العمارة والإصلاح والترميم، وأرسل لهذا الغرض المهندسين الحرفيين بالإضافة إلى المعدات والمواد اللازمة لتنفيذ هذا المشروع، ثم نظر في الأوقاف فقام بتنظيم وترتيب أوضاعها وتوفير أسباب الحماية والاستقرار لها، وخصص خمسة آلاف درهم تنفق على مصالح المسجد⁽¹²⁹⁾.
 2. في سنة 662هـ/1263م قام الظاهر بيبرس بوقف عدة قرى في الشام والقدس، بحيث يصرف ريعها في توفير خدمات وأعمال إحسان وبر للزائرين، الذين يقدون إلى مدينة القدس من مختلف أنحاء العالم الإسلامي للمحتاجين منهم، فيخصص الربيع لتوفير الخبز والطعام والإصلاح⁽¹³⁰⁾.
- كانت جهود المماليك عالية القدر شاملة لشتى أنواع البر والخير، من هنا فقد قاموا بتخصيص وقف يرصد على مقام أبي عبيدة عامر بن الجراح، بحيث ينفق ريعه على مصالح وحاجات الزائرين⁽¹³¹⁾، كان للمدرسة التنكزية أوقاف عديدة منها قرية عين قيناو حمام العين وحمام الشفا في سوق القطنين بمدينة القدس⁽¹³²⁾، وأوردت وثائق الحرم الشريف المملوكية، أن للمدرسة التنكزية أوقافاً في حمص وحلب، وأن مجموع إنتاجها عام 775هـ/1373م، بلغ (2914) درهماً فضياً، ويبدو أن أوقاف هذه المدرسة في حمص كانت هي الأكبر، حيث بلغ الدخل المتأتي منها (2545) درهماً، والباقي جاء من مدينة حلب⁽¹³³⁾.

حيث توسع الوقف في عهد المماليك حيث تم الفصل بين الأوقاف والأحباس في عهد الظاهر بيبرس حيث صارت ديوان للأحباس يعين له ناظر، وأصبح من اختصاص ناظر الأحباس والإشراف على المساجد والأربطة والزوايا والخوانق⁽¹³⁴⁾.



وقد استحدثت نظاماً جديداً للأوقاف، تم بمقتضاه الفصل بين الرزق بأنواعه من ناحية وأوقاف الحرمين والأوقاف الخيرية من ناحية أخرى، والتي كانت جميعها في العصر الأيوبي تابعة لديوان واحد⁽¹³⁵⁾، وبذلك تصبح الأوقاف في الدولة المملوكية مقسمة إلى ثلاثة فئات وهي (الأوقاف الأهلية ولها ناظرها، الأوقاف الخاصة بالحرمين والتي تعرف بالأوقاف الحكمية، والأوقاف الخيرية وناظرها ناظر الأحباس ويجمع بين الاثنين).

رابعاً: الأحباس

يعرفها القلقشندي بقوله الأحباس: جمع حبس وهو الوقف: كان أصل وضعه أراضياً اشتراها (الإمام الليث بن سعد رضي الله عنه) ووقفها على جهات برّ، ثم تبعه الناس في إضافة الأوقاف إلى ذلك، إلى أن كانت وزارة صاحب بهاء الدين ابن حنّا في سلطنة الظاهر بيبرس البندقداري، فأفرد للجوامع والمساجد والربط والزوايا ونحو ذلك رزقا⁽¹³⁶⁾.

ومن خلال وصف القلقشندي للأحباس يبين لنا الوظيفة الأساسية لها والتي تتضمن الإشراف على ريع الأحباس، وإنفاقه على كل من المساجد والأربطة والزوايا.

يذكر القلقشندي صفة عمال الأحباس بقوله "ولا يخدم فيها إلا أعيان كتّاب المسلمين من الشهود المعدلين، وفيها عذّة مدراء بسبب أرباب الرواتب، وكان فيه كاتبان ومعينان لنظم الاستيمارات، ويورد في استيمارة كل ما في الرقاق والرواتب"، ويقول أيضاً وهي وظيفة عالية القدر، وموضوعها أن صاحبها يتحدث في رزق الجوامع والمساجد، والأربطة والمدارس من الأراضين المفردة، وما هو من ذلك على سبيل البر الصدقة لأناس معينين⁽¹³⁷⁾ وذلك يبين مدى حرص السلاطين على امانة الموظفين القائمين على ديوان الأحباس.

1. الأوقاف الحكمية: خصصت هذه الأوقاف لخدمة الحرمين الشريفين والأماكن الدينية في الدولة المملوكية، ويذكر المقرئزي، مهامها إضافية كفاءة الأسرى المسلمين والإحسان والصدقات، ولطلبة العلم وقد خصص لها أراضياً، ويسمى القائم عليها بناظر الأوقاف، وكانت تجني مبالغ كبيرة ويعين ناظر الأوقاف مشرفين محليين لمتابعة الوقف⁽¹³⁸⁾، ومن خلال دراسة طبيعة الوقف الحكمي نجد أنه خصص في الغالب لخدمة الأماكن الدينية عامة والحرمين بشكل خاص.

ويذكر المقرئزي المتوفي سنة (845هـ-1441) أيضاً أن الأوقاف الحكمية تلاشت في زمانة ولم يعد لها شأن كبير بسبب فساد بعض الأمراء والقضاة، فقد تعرضت الأوقاف للهدم والبيع وغيرها من أعمال السلب⁽¹³⁹⁾.

2. الأوقاف الأهلية: الوقف الأهلي أو الذري: وهو الذي يوقف في ابتداء الأمر على نفس الواقف أو أي شخص أو أشخاص معينين ويجعل آخره لجهة خيرية. كان يوقف على نفسه ثم على أولاده ثم على جهة خيرية من بعدهم⁽¹⁴⁰⁾.

خامساً: اثر إدارة دولة المماليك لمؤسسات الفقراء في بلاد الشام

من خلال استعراض الدور المملوكي في قضية الفقر والفقراء نجد أن الدولة وظفت الوقف بشكل كبير في خدمة الفقراء من خلال تفعيل منظومة عمل تقوم بتمويل المؤسسات القائمة على خدمة الفقراء، مثل الأربطة والزوايا والخوانق والمساجد والمدارس، وقد ترتب على ذلك العديد من الآثار الإيجابية على الفقراء والدولة التي خدمت استقرارها في كثير من الأحيان.

1. تحقيق بعد ديني بإيواء ومساعدة الفقراء

يعد التصدق وإيواء الفقراء من أهم الأعمال التي يتقرب بها المسلم إلى الله، وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه"، وذكر من هؤلاء السبعة: "ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه"⁽¹⁴¹⁾.

وقد كان الأمراء المماليك يحرصون على ذلك تقرباً لله، ويذكر ابن بطوطة وجود تنافسية في ذلك من قبل أمراء المماليك بقول "وأما الزوايا فكثيرة وهو يسمونها الخوانق وأحدثها خانقة، والأمراء بمصر يتنافسون في بناء الزوايا"⁽¹⁴²⁾، وكان السلاطين والأمراء يتباهون بعمائرهم، وما أوقفوا عليها من الأوقاف مما جعلهم يحرصون على أن يفتتحوها هذا المؤسسات في احتفالات كبيرة⁽¹⁴³⁾، وأصبح من سمات العصر المملوكي أن ينشئ السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة المؤسسات الخيرية، ومن لم يفعل ذلك اعتبر شاذاً، واعتبر ذلك من عادة الملوك⁽¹⁴⁴⁾.



2. تحقيق حاضنة شعبية

لم يصل المماليك للحكم بطريقة شرعية ، والمقصود هنا انهم اغتصبوا الحكم بقتلهم الحاكم الايوبي توران شاه، فلم يكن المماليك اصحاب حق في الحكم ، وخاصة انهم من طبقة العسكر المماليك، كما ان طبيعة تداول السلطة في العصر المملوكي بين المماليك انفسهم لم تتسم بالسلمية او الشرعية فغالبا ما كان الوصول للحكم عن طريق الاطاحة بالسلطان السابق سواء بالقتل او النفي.

وقد ظلت هذا الحقيقة واضحة للعيان في مفهوم كل من الحاكم والمحكوم طول ذلك العصر مما جعل تعكس صورتها على كثير من الاتجاهات والنظم، ومنها الوقف والتي تقوم على التودد للشعب لتدعيم حكمهم⁽¹⁴⁵⁾، والذي يعد المورد الرئيسي لأعمال الاحسان والانفاق على الفقراء في الدولة المملوكية.

3. استغلال سياسي

شهدت فترة حكم المماليك فترات عدم استقرار سياسي نتيجة قيام ثورات اما بقيادة بعض الامراء مثل الامير اقواش البرلي وعلم الدين سنجر وسنقر الاشقر في بلاد الشام وثورات من قبل العامة في مصر، وقد ذكرنا في المبحث السابق ان هؤلاء اهتموا بشكل كبير بالزوايا وغيرها من بيوت ايواء الفقراء لتشكيل حاضنة شعبية لهم، والى جانب ذلك تشكلت في الفترة المملوكية طائفة من الفقراء ومن لا مهنة لهم عرفت في مصر بالحرافيش⁽¹⁴⁶⁾، وعرفت ببلاد الشام بالزعر او الزعران⁽¹⁴⁷⁾، فقد سكن بعض افرادها الزوايا ويقول في ذلك المستشرق ايرام لابيدوس في كتابة مدن اسلامية الى ان هذه الجماعات تأثرت بالصوفية واماكن تواجدها كالزوايا والخوانق⁽¹⁴⁸⁾، ومن شان هذا الفئة التأثير في أي حراك سياسي او ثوري.

4. تحقيق أغراض دينياً

ترتب على النظام المملوكي لمساعدة الفقراء تحقيق غرض آخر وهو نشر التعاليم الدينية الاسلامية للفقراء والمساكين، فقد عملت كل من الخوانق والزوايا وكذلك الاربطة على تنشئة النزلاء دينياً، فكانت تعلمهم القرآن والصلاة ويتخلل ذلك جلسات دينية وغيرها من أمور الدين التي كانت لها اثر كبير في مردود ايجابي لديهم⁽¹⁴⁹⁾.

5. محاولة تقليل الاثار السلبية للكوارث

شهدت فترة حكم المماليك عشرات الكوارث الطبيعية والابوئة والامراض التي ضربت البلاد في كل من مصر وبلاد الشام ، ومن شأن ذلك أن يفرض حالة من الانهيار الاقتصادي خاصة ما يتبعها من غلاء في الاسعار وشح في الموارد ، مما يؤدي الى زيادة اعداد الفقراء .
فقد حاولت الدولة المملوكية التصدي للكوارث بمساعدة ريع الأوقاف واستخدامها بما يخدم الأزمة القائمة بفعل الموجات المتكررة من الكوارث والأمراض⁽¹⁵⁰⁾.

النتائج:

توصلت الدراسة للعديد من النتائج، منها:

1. أتضح لنا من خلال البحث أن قضية الفقر والفقراء كانت من أولويات الدولة المملوكية حيث قامت الدولة بتوظيف الوقف بشكل كبير في خدمة الفقراء من خلال تفعيل منظومة عمل تقوم بتمويل المؤسسات القائمة على خدمة الفقراء.
2. أدارت الدولة المملوكية العديد من المؤسسات الخاصة بالفقراء التي كانت لها الأثر الإيجابي في رعاية الفقراء في بلاد الشام في تلك الفترة التي صاحبها الكثير من مسببات الفقر مثل الكوارث الطبيعية والأزمات الاقتصادية.
3. اتخذت الدولة المملوكية اجراءات متعددة لمواجهة وتخفيف المعاناة عن الفقراء، مثل معاقبة المسؤولين عن ارتفاع الاسعار ومنع الإحتكار وذلك للحيلولة دون تفاقم الأزمات الإقتصادية بين السكان.
3. أهتمت الدولة المملوكية بطبقة الفقراء من خلال تخصيص جزء من ميزانية الدولة للفقراء ورعايتهم .

ثانياً: التوصيات

1. إعادة النظر في بعض النظرات الخاطئة للأحوال الاقتصادية خلال العهد المملوكي وتأثيرها على الوضع السياسي للدولة بشكل عام.



2. الاهتمام بدراسة الحياة الاجتماعية وحياة السكان خلال العهد المملوكي للتعرف على أنماط حياتهم وطبيعة تعاملهم مع الأزمات الاقتصادية مثل الفقر.
3. تركيز الاهتمام على دراسة العهد المملوكي من الناحية الادارية للتعرف على طبيعة ادارة الممالك للأزمات الاقتصادية التي مرت بها.

المصادر والمراجع

- (1) طقوش ، محمد سهيل، 1999، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام (648-923هـ/1250-1517م) دار النفائس، القاهرة، مصر، ص6.
- (2) بكير، مروان، 2005، المدينة الفلسطينية في عهد المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بير زيت، فلسطين، ص2.
- (3) عرار، سكان فلسطين في العهد المملوكي عرار، شفيق، 2004، سكان فلسطين في العهد المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بيرزيت، فلسطين، ص17.
- (4) طقوش، محمد سهيل، 1999، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام (648-923هـ/1250-1517م) دار النفائس، القاهرة، مصر، ص26.
- (5) ابن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ص27.
- (6) الطباقي: يطلق على المكان الذي يربى فيه المملوك.
- (7) المقرئزي، تقي الدين، 1418هـ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 214.
- (8) ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين، 1990، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، ص319.
- (9) جزيرة الروضة: عرفت قلعة الجزيرة أو قلعة الروضة، وجعلها مقراً لهم وشرع في حفر الأساس وبنائها بين عامي 1239م و1240م، ولتطوير هذه الثكنات هدم الكثير من الدور والقصور والمساجد التي كانت في الجزيرة، بن تغري بردي، النجوم الزاهرة (6/367).
- (10) المقرئزي، السلوك المقرئزي، تقي الدين، (1997م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، ص437.
- (11) القلقشندي، أحمد بن علي القاهري (824هـ) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ص265.
- (12) ابو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، المختصر في أخبار البشر، ط1، المطبعة الحسينية المصرية، ص435.
- (13) العبادي، أحمد مختار، (1986)، قيام دولة المماليك الأولى في مصر وبلاد الشام، دار النهضة، مصر، ص27.
- (14) القلقشندي، أحمد بن علي القاهري (824هـ) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ص200.
- (15) القلقشندي، أحمد بن علي القاهري (824هـ) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ص200.
- (16) القلقشندي، أحمد بن علي القاهري (824هـ) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ص35.
- (17) المقرئزي، تقي الدين، 1418هـ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص3.
- (18) النويري، أحمد بن عبد الوهاب (1423هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ص39.



- (19) المقريزي، تقي الدين، (1997م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية ص 391.
- (20) الخوانق: كان للتصوف والعبادة أصبحت فيما بعد ملاجئ للفقراء لما يقدم بها من مساعدات وطعام وشراب: انظر خطط الشام (6/ 140).
- (21) الزوايا: موضع معد للعبادة والإيواء وإطعام الواردين والقاصدين: رحلة ابن بطوطة، ط أكاديمية المملكة المغربية (2/ 144).
- (22) القلقشندي، أحمد بن علي القاهري (824هـ) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ص200.
- (23) الاوقاف: مصطلح اسلامي عين الحبس او المنع ، لي منع تملها الشخصي ويعود على العقارات والاراضي، ليذهب ريعها الى أعمال الخير والصدقات والمساجد وغيرها ،الراغب الاصفهاني ، المفردات ، ص530.
- (24) المقريزي، تقي الدين، 1418هـ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 88.
- (25) القلقشندي، أحمد بن علي القاهري (824هـ) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 72.
- (26) القلقشندي، أحمد بن علي القاهري (824هـ) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ص556.
- (27) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (748هـ)، العبر في خبر من غير، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، عدد الأجزاء: 4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ص41.
- (28) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (1969م)، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للثقون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ص 13.
- (29) الحلبي ، الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (ج1/70).
- (30) دقماق ، صارم ، نزهة الأنام في تاريخ الإسلام (ص 269).
- (31) علاء الدين البندقدار الأمير الذي ينسب إليه السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس كان من كبار الأمراء الصالحية: الوافي بالوفيات (9/ 275).
- (32) نزهة الأنام في تاريخ الإسلام (ص 274).
- (33) الامير شمس الدين افواش البرلي العريزي ، خرج عن طاعة السلطان بيبرس في الشام وحاول الاستقلال عنه وفشل في ذلك، تاريخ ابن الوردي (2/ 202).
- (34) اليونيني، ذيل مرآة الزمان (ج1/142).
- (35) الشيرج : زيت السمسم.
- (36) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان (ج1/142).
- (37) سنقر الاشقر : سنقر الأشقر الأمير الكبير الملك الكامل شمس الدين الصالحي كان من أعيان البحريّة
- (38) السلوك (1/ 676): نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك (ص159).
- (39) نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك (ص159).
- (40) هو ركن الدين الملك المظفر بيبرس الجاشنكير المنصوري، من سلاطين المماليك، كان من مماليك المنصور قلاوون، وتسلمن في زمن الناصر محمد قلاوون، لما ذهب الناصر للكر كرهاً، في سنة 709 هـ، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (14/60-61).
- (41) ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر (ج1/502).
- (42) بيلغا الناصري: امير مملوكي كان نائبا للسلطان في بلاد الشام ، انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (6/ 210).
- (43) ابن العماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب (ج7/6).



- (44) نيل الأمل في ذيل الدول (2/ 286).
- (45) موسوعة التاريخ الاسلامي، العصر المملوكي (ص208).
- (46) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (ه748)، الامصار بيروت، لبنان، ص41.
- (47) ابن حجر، انباء الغمر (ج2/ص13).
- (48) ابن حجر، انباء الغمر (ج2/ص14).
- (49) المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك (1/ 539).
- (50) ابو الفداء ، تقومي (ص339).
- (51) العمري ، مسالك، (ج3/330).
- (52) المقرئزي، السلوك (ج2/ص48).
- (53) الزبيدي، مفيد، موسوعة التاريخ الاسلامي، العصر المملوكي (ص197).
- (54) المقرئزي، اغائة الامة بكشف الغمة (ص73).
- (55) المصدر نفسه، (ص83).
- (56) العريني، الدولة المملوكية (ص200).
- (57) غوانمة، يوسف حسن درويش، القرية في جنوب الشام ، دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين في العصر الإسلامي، دار الفكر، عمان، ط 1 (1983)، (ص 89).
- (58) ابن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور (ج1/791).
- (59) بيجاروس : الأمير سيف الدين بيجاروس ، تقلد عدة مناصب في الدولة المملوكية في مصر والشام ، أعيان العصر وأعوان النصر (2/ 86).
- (60) ابن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور (ج1/541).
- (61) ضربية المكس: ما يعرف بمكس الغلة ، وهي ضربية كانت تؤخذ على المحاصيل : تاريخ ابن الوردي (2/ 266).
- (62) النويري، نهاية الأرب، (ج 8، ص 271/240).
- (63) ابرام لايبديوس، مدن اسلامية (256).
- (64) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج 11/ ص 2869).
- (65) المقرئزي ، السلوك (ج1/ص556).
- (66) القلقشندي، أحمد بن علي القاهري (824هـ) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ص213.
- (67) زعرور ، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصرين الايوبي والمملوكي ص 85).
- (68) زعزوع، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصرين المملوكي والايوبي ص330).
- (69) النويري، أحمد بن عبد الوهاب (1423هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ص255.
- (70) النويري، أحمد بن عبد الوهاب (1423هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ص255.
- (71) التاج السبكي، معين النعم ومبيد النقم (ص34).
- (72) النويري، أحمد بن عبد الوهاب (1423هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ص261.
- (73) التراب: هي المقابر التي يدفن فيها الاموات.
- (74) ابن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (ص164).



- (75) لايبديوس، ايرام، (1978)، مدن اسلامية في عهد المماليك، ترجمة: علي ماضي، الاهلية للنشر والتوزيع، ص106.
- (76) المرجع نفسه، (ص107).
- (77) الحر افيش مفردها حرفوش، ويفهم من السياق أن مراده العامة أو الرعاع، انظر: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب (18/33).
- (78) المقرئزي، تقي الدين، (1418هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص302.
- (79) المقرئزي، تقي الدين، (1418هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك (3/ 313).
- (80) الأصفهاني، الفتح القدسي (ص818).
- (81) العلمي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العلمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين ، الانس الجليل، تحقيق عدنان نباتة، مكتبة دنديس – عمان، ص37.
- (82) المقرئزي، الخطط (ج4/273).
- (83) بكير، المدينة الفلسطينية في عهد المماليك (ص78).
- (84) مجير الدين، الأنس الجليل (ج2/46).
- (85) رحلة ابن بطوطة، ط1، دار الشرق العربي (1/ 26).
- (86) الخطيب، الاوقاف الاسلامية في فلسطين في العصر المملوكي (ص156).
- (87) الفلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (6/ 157).
- (88) تاريخ المدارس الواقفية في المدينة المنورة (ص476).
- (89) المدرسة الباوردية بباب الناظر في القدس ، الأنس الجليل (2/ 43).
- (90) المعظمية : المقصود بها المدرسة المعظمية في القدس الدارس في تاريخ المدارس (2/ 212).
- (91) العلمي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العلمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين ، الانس الجليل، تحقيق عدنان نباتة، مكتبة دنديس – عمان، ص42.
- (92) العلمي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العلمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين ، الانس الجليل، تحقيق عدنان نباتة، مكتبة دنديس – عمان، ص42.
- (93) العلمي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العلمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين ، الانس الجليل، تحقيق عدنان نباتة، مكتبة دنديس – عمان، ص45.
- (94) العلمي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العلمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين ، الانس الجليل، تحقيق عدنان نباتة، مكتبة دنديس – عمان، ص46.
- (95) العلمي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العلمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين ، الانس الجليل، تحقيق عدنان نباتة، مكتبة دنديس – عمان ص 34.
- (96) المقرئزي، تقي الدين ، خطط الشام ص 150.
- (97) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ص 155.
- (98) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس ، ص 156.
- (99) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس ص 157).
- (100) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس ص 157.
- (101) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس ص 111.
- (102) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس ، ص130.
- (103) ايدكن ابن الامير علاء الدين الشهابي نائب حلب، انظر: النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس (2/ 126).
- (104) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس (2/ 126).
- (105) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس (2/ 134).
- (106) الغزي، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي، الشهير بالغزي (1419هـ)، نهر الذهب في تاريخ حلب، ط2، دار القلم، حلب، 363.



- (107) الظاهر خشتقدم : هو السلطان الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين خشتقدم بن عبد الله الناصري المؤيدي، وهو السلطان الثامن والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، النجوم الزاهرة (469/4).
- (108) المقريري، تقي الدين ، خطط الشام، ص152.
- (109) المقريري، تقي الدين، (1418هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص302.
- (110) المقريري، تقي الدين، (1418هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص302.
- (111) المقريري، تقي الدين، (1997م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية (134).
- (112) النعيمي، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي 1990م، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، 1990م، ص150.
- (113) المقريري، خطط الشام (6 / 135).
- (114) محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي الشهير بـ محيي الدين بن عربي، أحد أشهر المتصوفين لقبه أتباعه وغيرهم من الصوفيين بشيخ المتصوفين : التصوف - المنشأ والمصادر (ص: 114)
- (115) خطط الشام (6 / 135).
- (116) علاء الدين أيدغدي، نائب صفد في تلك الفترة، تاريخ الإسلام تدمري (51 / 49).
- (117) المقريري، خطط الشام (6 / 149).
- (118) العليمي، الأنس الجليل (2 / 43).
- (119) ابن منظور، لسان العرب مادة: وقف (ص 359).
- (120) تاريخ المدارس الوقفية في المدينة المنورة (ص: 465).
- (121) النويري، أحمد بن عبد الوهاب، 1423هـ، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ص 158.
- (122) المقريري، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (4 / 89).
- (123) العليمي، الأنس الجليل (2 / 43).
- (124) المقريري، خطط الشام (6 / 152).
- (125) الغزي، نهر الذهب (2 / 363).
- (126) السباعي، من روائع حضارتنا، (ص 115).
- (127) ابن جبير، رحلة ابن جبير، (ج1/ص236).
- (128) ابن بطوطة، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، (ص36).
- (129) المقريري، تقي الدين ، السلوك في معرفة اخبار الملوك، ص455.
- (130) المصدر نفسه، (ج1/ص521).
- (131) ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين، (1990)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، ص194.
- (4) الجانية، وعين عريك، ودير ابزيع، وبيتونيا. الدباغ، بلادنا فلسطين (ج8 ، ص347-349)
- (132) المصدر نفسه، (ج8 / ص347).
- (133) الدباغ، بلادنا فلسطين، (ج8 / ص347).
- (134) القلقشندي، أحمد بن علي القاهري، 824هـ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت ص248 249.
- (135) القلقشندي، أحمد بن علي القاهري، 824هـ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت ص248.



- (136) القلقشندي، أحمد بن علي القاهري، 824هـ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 248.
- (137) القلقشندي، أحمد بن علي القاهري، 824هـ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 567.
- (138) المقرئزي، -تقي الدين، (1418هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 88.
- (139) المقرئزي، -تقي الدين، (1418هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 89.
- (140) رسالة في الفقه الميسر (ص: 113).
- (141) البخاري، صحيح البخاري (1/ 133).
- (142) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة (1/ 26).
- (143) المقرئزي، -تقي الدين، (1418هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 401.
- (144) ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين، (1990)، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق، محمد كمال الدين عز الدين، عدد المجلدات: 2، عالم الكتب، ص 143.
- (145) أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر عصر السلاطين المماليك (ص 71).
- (146) المقرئزي، -تقي الدين، (1418هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 61.
- (147) المقرئزي، تقي الدين، السلوك لمعرفة دول الملوك، ص 460.
- (148) لايبديوس، ايرام، (1978)، مدن اسلامية في عهد المماليك، ترجمة: علي ماضي، الاهلية للنشر والتوزيع، ص 176.
- (149) انظر: المقرئزي، خطط الشام (6/ 136).
- (150) أمين، الاوقاف والحياة الاجتماعية في مصر عصر السلاطين المماليك (ص 72).